التعلم الحقيقي في أعقاب الرواية الذاتية-العائلية وتطوير مهارات اكاديمية في إطار الإرشاد التربوي.

د.خنساء ذياب

محاضرة ومرشدة تربوية في كلية دافيد يلين

رئيسة القسم العربي في الكلية

يصف هذا البحث مبادرة تربوية قام بها طلاب عرب في سنتهم الأولى للتأهيل كمعلمين في المستقبل. وتحلل هذه المقالة أبحاثاً أساسها الرواية العائلية، كطريقة لدمج الرواية العائلية في تطوير طرق فعالة ومؤثرة على التطور المهني والذاتي للمعلمين البراعم.

هدفت هذه المبادرة لإعطاء فرصة تعليمية حقيقية خاصة, تمكن كل طالب من التعرف على ذاته عن كثب من خلال البحث وراء جذور عائلته من جهة , ومن جهة أخرى تطوير مهارات أكاديمية.حيث قام كل طالب من فئة البحث ببناء شجرة العائلة لخمسة أجيال متتالية، ودراسة أحداث عائلية مهمة في تاريخ عائلته وتاريخ بلده وشعبه، أفادته اكتساب واستعمال أدوات تعلمية أكاديمية، من خلال البحث والتدريب وكتابة رحلته في أعقاب روايته العائلية .

عملية التعلم

كان اليونانيون أول من تطرق لعملية التعلم كوسيلة لاكتساب المعرفة، وأشاروا الى الصعوبات المرتبطة بذلك.

والتعلم بمعناه العام والواسع هو عملية اكتساب معارف وخبرات والاستعانة بها. فبواسطة التعلم، يمكننا فهم السلوك البشري بشكل فعال، كذلك ردة فعل الكائن الحي لظروف حياتية مختلفة. وقد شغل موضوع التعلم الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس، ورجال تربية عديدين، وتطرقوا إليه وفق معايير ومحاور ونماذج مختلفة للتعلم. فليس

هناك مثال أو نظرية واحدة للتعلم، إنما هي عملية مكونة من مسارات مركبة من مجالات مختلفة. وهنالك عدة نماذج من التعلم تمثل تيارات مركزية في مجال التربية .

ترتكز المبادرة المعروضة في هذه المقالة، والتي نفذت في مساق القراءة الموجهة، حول البحث عن طريق فيه تعلم له اهمية ومعنى للطالب، وذلك من أجل إفادته وتطوير قدراته في المهارات الأكاديمية والذاتية المختلفة، لذلك سأخص الحديث فيما بعد للتعلم الوجودي الذي يحتوي بداخله تعلماً حقيقياً ذا معنى(גלבוע, 1992).

1. التعلم ذو المغزى

عّبر كارل روجرز احد الممثلين الساطعين للتيار الوجودي عن موقفه تجاه العلم فقال: " عندما يكون التعلم بدون أي مغزى وأهمية لصاحبه ، فإنه يحدث من الرقبة وما فوق..." أي يشغل الدماغ فقط. وبالمقارنة فهناك تعلم ذو مغزى يرتبط بكل مكونات الشخصية، و في هذا التعلم مشاركة ومخالطة شخصية ، حيث ينغمس الفرد فيه بكل أحاسيسه وجوراحه و إدراكه ووعيه. وعندما تكون المبادرة بيد المتعلم ، فإنه يشعر بالتجلي بالمواجهة والتفهم ، والتي تنبع من عالمه الداخلي (גלבוע, 1992،עמ' 79).

وفيما يلي سنعرض أهمية مميزات التعلم ذي المغزى حسب ما رآه روجرز (المصدر السابق، ص 137-133):

- قدرة الفرد للتعلم تنبع من غريزة طبيعية موجودة لدى كل كائن حي من أجل تحقيق الذات. لذا فإن التعلم والدافعية للتعلم وضع مفروغ منه لأجل التطور والنمو للكائن الحي.
- هذا التعلم مرتبط بالمعاناة النفسية ، لأن فيه تنازلاً عن أفكار ومفاهيم معينة سابقة شغلت حيزاً داخلياً لتخلي مكانها لمفاهيم وأفكار جديدة.
- يرى المتعلم في هذا النوع من التعلم أساس وسبب كينونته ووجوده كإنسان في هذه الدنيا ويهدف هذا التعلم الى تطوير الوجود والذات للفرد ، وهو يشمل التعلم من تجارب الحياة ونتائجها . لذلك تصاحب هذا التعلم شحنات ودوافع داخلية قوية من اجل الاستمرار والتقدم بمسار هذا التعلم.
- يحدث هذا التعلم تغييراً في تقبل الإنسان لذاته ، ولذا يحدث تحول وتطور في شخصية وهوية الانسان. وعلى أثر هذا التغير الناتج عن هذا التعلم ، نلاحظ في

كثير من الحالات التمنع والمعارضة لخوض مسار هذا التعلم ، بسبب تهديده للوضع الحالي ، والذي يراه مناسباً له ، وأكثر راحة وسهولة.

- يتطور هذا التعلم بعد أن يواجه الفرد في داخله صراع وتناقضاً بين نزعتين للتعلم ولتسوية هذا الصراع على الفرد التعلم والتغير ، وتبنّي نزعة معينة مقابل التنازل عن الأخرى ، لأنه يراها الأنسب له.

وعن إدراك الأنسب للفرد كأحد الدوافع القوية للتعلم تطرق نيسان (ניסן, 2002) لهذا الموضوع بإسهاب.

- يحدث هذا التعلم في ظروف بيئية ونفسية مريحة , توفر للمتعلم كل ما يلزم من أجل الخوض في مسار هذا التعلم وذلك بسبب التهديد والخوف من التغيير المتوقع حدوثه. وعندما نوفر للمتعلم ظروفاً داعمة ومشجعة، يتفرغ فيها المتعلم للتركيز على المهام التعليمية ، ويتجاهل العوامل المعيقة لذلك فإن للمعلم أو المرشد التربوي دور كبيراً في توفير الظروف المناسبة لهذا التعلم.
- يأتي هذا التعلم بمبادرة ومشاركة المتعلم حيث ينفتح الطالب المتعلم على مسارات التعلم والتطور العميقة لديه ، ولذا تزيد مسؤولية الطالب حول التعلم والنجاح من أجل ذاته هو فقط. بعكس ما يحدث عندما يكون التعلم بمبادرة جهات خارجية مثل المعلمين والآباء. لذلك علينا توفير الحرية والخيار للمتعلم ، وأن يصاحب المتعلم في عملية تعلمه هذه شخصية تربوية داعمة، تساعد وتوجه وتشرح ، والأهم من ذلك أن تتفهم وتتقبل شخصية المتعلم كما هي ، وتمد له يد العون للدفع أماما بهدف التطور وتحقيق كينونة المتعلم , والتي تنعكس في بلورة هوية ذاتية قوية للمتعلم.

الدافعية للتعلم

الدافعية هي الشرط الأساسي لحدوث التعلم. فالطالب يتعلم عندما يرغب بذلك، ويستفيد من هذا التعلم (בר-אל, 1996)

وهنالك شكلان من الدافعية للتعلم:

1- دافعية خارجية تثيرها عوامل خارجية ، عدا عن المهمة التعلمية ذاتها، مثل : أهالي، أصدقاء، معلمون . ويتلخص هذا بالعقاب والثواب (تعزيزات، جوائز، علامات، إطراء، إبتسامات، الخ.....)

2- دافعية داخلية تثار من عوامل مرتبطة بأهمية المهمة التعلمية ومردودها على المتعلم ، بأن تكون مثيرة له، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة على الصعيدين الشخصي والمهني ، وذلك لتلبية حاجات نفسية داخلية ، كالحاجات التي أشار إليها ماسلو.

إضافة لذلك فإن دافع التحصيل والإنجاز والنجاح بالمهمة هو داخلي ، يدفع المتعلم للجد والاستمرار في التعلم لكي يحقق إنجازات عالية في المجال الذي يهمه. ثمة دافع آخر هو دافع الاكتشاف وحب الاستطلاع كدافع قوي ، يحرك المتعلم للتعلم أكثر وأكثر.

وأخيرا دافع الذات والتصور الذاتي، حيث النجاح بكل المهام التعلمية المدرسية يؤثر إيجابيا على التصور الذاتي للفرد بأنه إنسان ناجح ، وباستطاعته تحقيق ذاته والوصول لمبتغاه في هذه الحياة.

إن موضوع التعلم ودوامه وإثارة الدوافع الحقيقية له ، لزيادة مردود التعلم ، وزيادة دوامه وترسيخه لدى المتعلم ، يشغل الكثير من التربويين والإخصائيين النفسيين .

تطرق نيسان(ניסן, 2002) لهذا الموضوع باسهاب في مقالته حول الدافعية للتعلم ، وفي خلاصة الموضوع يصل بأن الدافع الحقيقي والأهم لإثارة التعلم هو عندما تشرح للمتعلم ما هو هدف التعلم ، وربطه بمفهوم الأنسب للطالب و لحياته ولكينونته، لأن مفهوم الأنسب للطالب يرتبط ارتباطاً عميقاً بالهوية الذاتية للمتعلم.

وصف المبادرة التربوية

تم تطبيق هذه المبادرة التربوية في مساق قراءة موجهة. وأحد الأهداف الرئيسية لهذا المساق هو إكساب وتطوير مهارات أكاديمية للطالب ، والتي تضم قراءة أكاديمية ناقدة، وكتابة أكاديمية مع إبداء الرأي والتعليق على الكتابة. كذلك اختيار موضوع للبحث والدراسة، والبحث عن مراجع ومصادر ومعالجة هذه المصادر حتى بناء وكتابة بحث أكاديمي.

قام كل طالب من فئة البحث ببناء شجرة العائلة لخمسة أجيال متتالية ، ودراسة أحداث عائلية مهمة في تاريخ عائلته وتاريخ بلده وشعبه ، من خلال إكتساب واستعمال أدوات تعلمية أكاديمية، من خلال البحث والتدريب وكتابة رحلته في أعقاب روايته الذاتية العائلية.

هدف الدراسة

هدف الدراسة هو فحص مدى تاثير الرواية الذاتية العائلية للطالب على اكتساب تعلم ومهارات ذاتية واكاديمية مختلفة في إطار تأهيل المعلمين.

سؤال البحث:

ما هي أنواع التعلم التي حدثت لدى الطالب في أعقاب روايته الذاتية العائلية ؟

عرض وتحليل النتائج:

فيما يلي سيتم عرض نتائج أبحاث وروايات ستين طالبا في سنتهم الأولى للتأهيل بين سنوات 1998-2004.

الأحاديث المعروضة هنا هي عبارة عن قصص حياتية للطلاب ولعائلاتهم بعد معالجتها.

تم تحليل الروايات من خلال البحث عن المواضيع الأساسية ، والتي بدورها تتفرع إلى مجموعات أصغر ، وهي تحليل النصوص Narrative analysis حسب كورتازي (1993) وتحليل المحتوى (שקדי,2003).

من تحليل الروايات تم التوصل الى محاور كان لها التأثير الكبير على الطلاب من خلال إجراء بحثهم في أعقاب الرواية الذاتية والعائلية :

(1) توسعت دائرة الهوية الذاتية بشكل ملحوظ وذي معنى .

(2) تعاظمت القدرة على التفكير الارتدادي في المستوى الانفعالي والمستوى الذهني.

(3) توسعت وتعززت القدرة على الذكاء العاطفي والتماهي والتعاطف تجاه الآخر.

(4) زادت الدافعية للتعلم , وزاد حب الاستطلاع والرغبة للدراسة والبحث عن مصادر ومراجع ومعلومات.

(5)تبلورت و تطورت أنواع مختلفة من التعلم , وتكونت مفاهيم جديدة مثيرة.
تم التطرق الى توسع دوائر الهوية الذاتية لدى الطالب العربي ، وتعاظم القدرة على التفكير الارتدادي على مستوياته المختلفة في مقالات سابقة (انظر דיאב،2002 ؛ ذياب,2002).
تتركز هذه المقالة في قضية زيادة الدافعية للتعلم والبحث والدراسة ، وتطوير تعلم في مجالات مختلفة (محاور 4,5) .

I - الدافعية للتعلم:

كباحثة تربوية ومرشدة لتأهيل معلمين عرب ، فإ ننى أؤمن ان لكل كائن حي وحتى الجهري الميل والقدرة للتعلم والتطور والتأقلم مع البيئة التي يعيش فيها بالشكل الأمثل. وكل ما علينا مساعدته في تحقيق هذه القدرة. وكم يؤثر هذا الإيمان عندما يكون الحديث حول الانسان , وهو الكائن الحي الاجتماعي الأكثر تطوراً على وجه البسيطة ؟؟
إن الدافعية للتعلم هي الشرط الأساسي للتعلم , حيث يتعلم التلميذ فقط إذا كان يرغب في التعلم , وبإمكانه الاستفادة من هذا التعلم (روجرز, 1973)
تطرقت هيام في رحلتها بأعقاب جذور عائلتها الى الدافع لإجراء هذه الرحلة ، وإلى أثر تجربة هذه الفرصة التعليمية:
"بعدما شرحت لنا المعلمة موضوع رحلة في اعقاب الجذور، تشجعت في البداية لإجراء هذا البحث بسبب زيادة عشر علامات على البحث , وليس بسبب ما يحتويه هذا البحث. وبعد إجراء مقابلة مع جدتي لبناء شجرة العائلة تشجعت جداً ليس بسبب العلامات ، وإنما بدافع فحوى هذه الرحلة وفائدتها .
نلاحظ هنا الدافعية الخارجية (10علامات) لدى الطالبة في البداية ، وبعدها وبشكل سريع استمرت ببحثها بسبب دافعية داخلية (سبب ذاتي ومقابلة الجدة مثلا.....)
لم تشرح الطالبة كل ما في قلبها بهذه الجمل ، وإنما استمرت بالحديث عن اهمية الرحلة من وجهة نظرها.
تطرق زهير الى حب الاستطلاع الذي تكوّن لديه في بداية الرحلة:
"أثار البحث حب استطلاعي منذ اللحظة الأولى , وتراكضت في رأسي الكثير من الأسئلة والتساؤلات ، والتي أردت الحصول على إجابات عليها بشكل فوري".

حول حب الاستطلاع كأحد الدوافع القوية للتعلم , تطرق لذلك طـلاب كثيـرون باشكال مختلفة ومتنوعة ، وحسب درجات شدة مختلفة:

"..... شدّني هذا الموضوع وأثار حب استطلاعي ...."

"..... هذه الرحلة جيدة وتثير حب الاستطلاع بكل معنى الكلمة..."

" الدوافع من وراء إجراء هذا البحث كانت قوية جداً , وتنبع من مشاعر قويـة جداً , ورغبة جامحة للتعرف على نمط حياة أفراد عـائلتي, والظـروف التـي عاشوا بها".

وتساءلت : لماذا لا يتحدثون عن هذه الأسماء؟ ومن هنا انطلقت للبحـث عـن الإجابات....."

"وفجأة انتابتني رغبة شديدة للبدء في البحث والكتابة بهذا الموضوع."

"... وعندها زادت لدي الرغبة للمعرفـة أكثـر وأكثـر .....و..... زادت تساؤلاتي"....

"شد هذا الموضوع انتباه الكثير من أبناء عائلتي ..... وجميعهم أراد المساعدة والحديث في هذا الموضوع."

".... بالرغم من جميع الإحباطات لم أفقد الدافعيـة للبحـث عـن المعلومـات الناقصة... حتى لو لم أجد هذه المعلومات في هذه المرحلة من بحثـي. فـإني أقسمت بالاستمرار حتى أكتشف كل شيء .... ليس بسبب تمـرين او وظيفـة ، إنما من أجلي أنا ومن أجل ذاتي....."

تتحدث الطالبة مي في الاقتباس الأخير عن دافعية قوية جـدا للـتعلم ، وللبحـث وللاكتشاف, هي بذاتها من اجل ذاتها. حسب روجرز أن هذا هو التعلم الحقيقـي الذي فيه هدف يخدم كينونة الإنسان وماهيته(1973).

"حرّكت هذه الدافعية الكثير من المحفزات لدي للتعلم وللعمل والبحث , لكي أصل وأحقق الكثير من أمان وأحلام لم يستطع جدي تحقيقها لنفسه ...."

تمادى ياسر في الوصف وتحدث عن حب استطلاع "قاتل...".

"قبل هذا البحث كان ما يهمني هو إسمي واسم جدي ، ولكن بعد هذا البحث فإن حب الاستطلاع كاد أن يقتلني، والآن أريد أن أعرف المزيد والمزيد حول أصـل عائلتي , وحتى قبل ملايين السنين...."

نرى في هذا الحديث التأثير الكبير لهذا البحث على ياسر، وبأنه وسّع من إدراكه لذاته وللعالم من حوله.

"حفزني هذا البحث للتعرف على تاريخ بلدتي...."

".... بعدما حدثني جدي عن مطار عطاروت (بجانب قلنديا) والذي كان للعائلة .... شعرت بالحاجة للنهوض والذهاب فورا لهذا المطار ، لكي أجمع معلومات إضافية ..."

" إن لهذا البحث في نظري أهمية كبرى.... وهو فعلا أثار دافعيتي لأعرف المزيد عن حياة أجدادي القدماء ... وعندها انطلقت ببحثي وبرحلتي"

نشاهد هنا إستعمال الطالبة فرحة لكلمة " انطلقت " من أجل عكس دافعيتها ومشاعرها القوية التي أثيرت وصاحبتها ، ودفعتها للبدء بهذه الرحلة وللبحث وللتعلم.

برز مركب آخر كأحد الدوافع للتعلم في هذا البحث ، وهو تحقيق الذات والتحصيل الذاتي من اجل تعزيز التصور الذاتي. وفيما يلي بعض روايات الطلاب حول هذا العامل.:

"لم تقلل الصعوبات من دافعيتي ولم توقفني.... بالعكس فقد زادت من رغبتي ، وأصررت على الوصول إلى هدفي ".

"..... إجابات والدي بأنه لا يعرف إسم جدته وتفاصيل أخرى كان قد نسيها ، شكلت لدي عاملاً مسرعاً للبدء والجري وراء المعلومات والأسماء ،حتى اكمل، شجرة عائلتي ...."

يبرز هنا الدافع الداخلي القوي ، الذي انعكس بالجري وراء المعلومات من أجل الإنجاز والتحصيل لإتمام المهمة والتفاصيل الناقصة في شجرة العائلة .

وهنا تبرز قضية علاقة الطالبة مها بأبيها , حيث لا نرى شخصية الأب المثالي ، ولا تمثيل (אידאליזציה) كامل لشخصية الأب كما ورد في روايات الطلاب قبل إجراء بحث بأعقاب جذوري (ذياب،2002) , فنحن نرى هنا تصويراً لأب غير كامل , فهو ينسى اسماء وتفاصيل اخرى, وهذا يدل على مفهوم واقعي للطالب حول شخصية الأب , ولديه بعض التحفظات حولها , وهذا يدل على النضج النفسي للطالبة.

تطرقت الطالبة إخلاص للتعلم وكأنه شعور بالرسالة على الصعيدين الاجتماعي والمهني , وربما تكمن هنا رسالة سياسية قومية خفية :

"عزّز هذا البحث ثقتي بذاتي، ووّفر لي الكثير من الدوافع والمحفزات للتعلم والعمل , من اجل تحقيق آمال كثيرة لم يستطع جدي واخرون تحقيقها".

ذكر الطلاب في رواياتهم القدرة والرغبة الشديدة في البحث عن مصادر ومراجع زادت بعد رحلتهم باعقاب جذورهم:

"لم اكتف بهذه المعلومات من الكتب اعلاه، بل بحثت عن مراجع إضافية ...."

"لن أنسى كيف سعيت في البحث عن كتب ومراجع حتى أجد مادة إضافية حول قريتي وعائلتنا."

"سألت الحاج عبد الفتاح حول مصدر الإسم "بيت صفافا", فأفادني بالكثير من المعلومات, ولكنني أردت التحقق من ذلك , فذهبت إلى بيت الشرق وبحثت , وفعلا تحققت من إجابة الحاج حول عدة أسباب ممكنة لتسمية بلدتي "بيت صفافا".

نشاهد هنا أيضا المسؤولية الأكاديمية التي تظهرها الطالبة هديل حول التحقق ومصادقة أقوال الحاج حول مصدر اسم بلدتها. هنالك حب استطلاع كبير لاكتشاف ولمعرفة المرجع الحقيقي لاسم بلدتها ، وللرواية الكاملة من اجلها ذاتها والانا الخاصة بها.

تطرق حسن لاختراق الحدود من أجل البحث عن مصادر لبحثه:

" شجرة عائلتي تكمن في تركيا، ولا يمكنني اليوم السفر لهناك ، ولكنني أعد نفسي بأنني سأسافر يوما ما وأحضرها..."

نجد هنا وعداً ذاتياً حول تحقيق الحاجة بالحصول على شجرة العائلة ... وبسبب الصعوبات الفنية للسفر إلى تركيا، ركز حسن بحثه في البلاد:

"سافرت لنابلس ولرام الله لمقابلة أشخاص من أجل إكمال تفاصيل ناقصة في شجرة العائلة، توجهت لعدة مصادر "علمية" وكتب لمعرفة المزيد عن العائلات التي كانت تقطن في نابلس. توجهت لعدة مكتبات... استعنت بأحد أقاربي الذي يسكن في عمان ، وعندما سافر أخي إلى هناك جندته لإحضار تفاصيل عن شجرة العائلة.....".

II- حدوث تعلم وبلورة مفاهيم جديدة

يعرف التعلم بانه احداث تغيير في السلوك نتيجة للممارسة والخبرة (قطامي،1998).

ونعني بالممارسة او الخبرة كل تجربة مر بها الانسان من خلال تجربته الذاتية او من خلال مشاهدة سلوك الآخرين والإصغاء لحديث شخص آخر ، او قراءة كتاب وما شابه ذلك .

تطرقنا سابقا للأسباب التي تدفع الإنسان للتعلم ومنها : التعزيزات المتوقعة من الآخر (عقاب وثواب) ومن أجل توفير حاجات نفسية داخلية , مثل حب الاستطلاع، وانجاز ذاتي وهو بدوره يعزز التصور الذاتي الايجابي ، وزيادة شعور الكفاءة لدى الانسان، بالإضافة لعامل تحقيق الذات المرتبط بالتعلم والاكتشاف من اجل تحقيق الكينونة البشرية والذاتية للشخص.

يتأثر التعلم والتذكر بوضعنا العاطفي. وتدل الأبحاث باننا نتذكر بشكل أفضل في أوضاع مشحونة عاطفيا , مقارنة بمواقف مجردة من المشاركة العاطفية. لذلك عندما تكون هنالك مخالطة عاطفية ذاتية في عملية التعلم , فان التعلم هنا يعتبر حقيقياً وذا تأثير ومعنى ، ويدوم لوقت طويل (روجرز, 1973).

يمكن حصر التعلم والذي ينعكس في إحداث تغيير في السلوك في :

1- المجال الذهني .

2- المجال الانفعالي والعاطفي .

3- المجال النفسحركي .

حدوث انواع تعلم جديدة وتطور مفاهيم مثيرة

في هذا الجزء من النتائج سنعرض انواع تعلم حدثت ، وهي تتعلق بالمعرفة والاكتشاف لحقائق جديدة ومختلفة، وتعلم قيم ومفاهيم جديدة حول الحياة الواسعة ، وأيضا تعلم مهارات أكاديمية مثل القراءة والكتابة الاكاديمية وطرق تحديد وكتابة البحث العلمي الاكاديمي.

أ تعلم في المجال الإنفعالي والعاطفي :

تطرقت هيفاء لقدرة ومهارة إقناع الآخر ولتجنيده لمصلحتها ، كأحد الأمـــور التي تعلمتها في هذا البحث:

".... بالرغم من كل الصعوبات والمشاكل التي واجهتها لإنهاء بحثي ، فقد نجحـت في التغلب عليها ونفذت جميع مراحل البحث بنجاح وثقة كاملة ، وبقدرة عالية على اقناع الآخرين وتجنيدهم لتلبية احتياجاتي الذاتية ، من أجل إنهـــاء بحثـــي بـــسلام وبنجاح".

ربما تكون هذه التجربة الاولى للطالبة هيفاء للاتصال مع الآخرين من اجـــل الحصول على معلومات وللحصول على مساعدة . تحدثت هذه الطالبة في رحلتها عن مقابلاتها العديدة مع شيوخ القرية , ولم تنحصر المقابلات على افراد العائلة ، وذلـــك من أجل المحافظة على مصداقية بحثها. فعدا عن المسؤولية الاكاديمية في البحث تبرز لنا اهمية تعلم مهارات الاتصال التي تعلمتها الطالبة من خلال بحثها.

تحدثت هيفاء أيضا عن الصعوبات ، ولهذا سأخصص الحديث لاحقا عن هذا الموضوع ، والاهم انه رغم جميع الصعوبات ، فإن جميع الطلاب تعلمـــوا مواجهـــة أمور مختلفة.

تنبهت الطالبة آمنة أثناء رحلتها لحقيقة مثيرة وهي انجذاب النـــاس للقـــصص والروايات :

" بودي أن أذكر امراً لفت انتباهي ، وهو أن مواضيع وقصصاً كهـــذه مـــن الحيـــاة تجذب انتباه الكثير من الناس، وقد شعرت بهذا عندما تحدثت مع جدي ، واشـــترك في الحديث كل من تواجد في الغرفة ، حيث أضاف كـــل مـــا لديـــه مـــن قـــصة أو سؤال...."

نلاحظ ان آمنة تقوم بالتفكير الارتدادي بنفس الوقت بعدة مستويات: جمع معلومات، إصغاء للآخرين ، وتبرز لنا قدرتها على التفكير ، والتي تصل من خلالها إلى تفضيل الناس المعلومة الروائية والوجدانية على المعرفة الذهنية. ولا شك ان هذا التعلم والانتباه ناتج عن مشاركة وجدانية عميقة للطالبة بكل ما تقوم به. وتؤكد آمنة في تحليلها هذا أقوال زلبرشتاين (זלברשטין,1998) حول تفضيلنا المعرفة القصصية على المعرفة العادية الجافة.

ب- تعلم مفاهيم وحقائق جديدة :

ذكر معظم الطلاب في بحثهم النهائي المعروض كتابيا، تعلم مفاهيم وحقائق جديدة حول الحياة والعالم من حولهم ، والتي لم تكن لديهم قبل هذا البحث:

"....**هذا البحث مثير ومهم , فلكل شيء في هذه الحياة توجد بداية وتوجد نهايـــة ، وايضا رحلتي هذه التي ابتدأتها ... واليوم انا على وشك انهائها، وحقيقة فأنا اكتب في هذه اللحظات التلخيص النهائي لها** ....".

يبدو من هذا النص ان الطالبة حلا تدرك "للوهلة الاولى" حقيقة ان للامور بداية ونهاية. ويمكن أن تكون هذه الحقيقة معروفة للطالبة من قبل ، ولكن الان وبعد انهاء هذه المهمة , فانها تشعر باهمية البداية واهمية النهاية وقد نجحت في ترسيخ هذه الحقيقة.

يمكن للبعض ان يحس بهذا الادراك : إدراك مستقيم (خطي) للحياة (بداية ونهاية) , ولا توجد رؤية مركبة او دائرية او لولبية.

حتى وان كان هذا صحيحا ، فان ادراك حلا لهذه الحقيقة هو إنجاز يدل على تطور الطالبة التي بدأت من عدم وضوح رؤية خطية , واليوم فانها توسع بذلك رؤيتها حول الدنيا من حولها.

تطرقت الطالبة زهية لمفهوم جديد في أعقاب بحثها الذاتي:

".... **لهذا البحث فائدة كبيرة ، ففيه يستوعب الطالب قيمة الاجداد وقيمة الوطن، ويتعرف على المصاعب التي واجهت اجدادنا الأعزاء ، وهذا يزيد من حبه وتقـــديره لهم ، ويزيد من انتمائه لوطنه وليس فقط لعائلته ، لأن الانتماء للوطن ينبـــع مـــن الانتماء للعائلة**...."

نلاحظ هنا ان الطالبة تعلمت ورسخت بشكل عميق قيمة الأجداد وقيمة الوطن ، والعلاقة بين الانتماء لهاتين الدائرتين.

تستمر زهية في حديثها حول مفاهيم ونظرات جديدة حول الحياة:

"ما يهمني هو المحافظة على سيرة عائلتي وتدوينها ، فقد تحدث عنها الكثيرون بدون ان يدّونوها ، وبقيت مع اصحابها، وانا سعيدة بان انقل الرواية مكتوبة , وهكذا احافظ عليه، الان الذكرى هي الحياة ، ولا حياة بدون ذكرى."

نجحت تمارا في بلورت مفهوم شخصي سياسي في أعقاب رحلتها:

"بعدما خضت هذه التجربة.... تجربة الغوص والبحث والتعرف من جديد على العائلة ، اشعر الآن بان هذه الطريقة هي الافضل للتقرب من الواقع الذي عاشه الفرد. واقع حياة العائلة الفلسطينية التي خانها الزمن ولم تجد من يدافع عنها و لم تعرف كيف تحمي نفسها....".

تكمل تمارا حديثها حول اهمية العائلة في حياة الانسان:

"مكنتني هذه التجربة من معرفة اهمية العائلة للفرد. حيث انها تشكل جزءاً مهما من حياته و كينونته، وهي تاريخه ومراحل حضارته. تعلمت أيضاً كم هي مهمة المعرفة والمحافظة على التاريخ للاجيال القادمة، لانه فقط بهذا الشكل يمكن للفرد المحافظة على تاريخه."

نلاحظ من اقوال تمارا بلورة موقف سياسي وربما خفي، ينعكس في أهمية المحافظة على التاريخ (التراث والروايات العائلية) للاجيال القادمة , وقبل ان يكتنفهم الضياع. وربما نشعر باحتجاج الطالبة لانه لا فرد، ولا جهة، ولا مؤسسة حكومية اوخاصة أواجتماعية اهتمت بكتابة وتدوين تاريخ الشعب العربي الفلسطيني، كما حدث فعلا حسب روايات ابطاله الحقيقيين، ابناء عائلات الطلاب.

انضمت ميسلون لتمارا للتحدث عن اهمية التاريخ :

". على كل فرد يحترم نفسه ويحترم عائلته ان يعرف تاريخ عائلته وان يفتخر بها..."

فرحة تطرقت ايضا للتاريخ ، ولكن من زاوية مختلفة:

"صحيح انني وجدت معلومات جديدة ... ولكن ليست جميعها.... فهناك شخص ما "اخفى" التاريخ ....!

نلاحظ رؤية ناقدة وواعية حول التاريخ ، والمقصود هنا المعلومات التي رغبت في الحصول عليها حول مطار عطاروت (قلنديا سابقا). الحرس رفضوا حتى السماح لها بالدخول للمطار ، فأحبطت كثيراً ، فقد كانت تتمنى لو وطئت قدماها ارض المطار الذي كان يتبع لاملاك عائلتها. وحسب اقوالها:

"عندما حدثني جدي ان مطار عطاروت هو من املاك العائلة ، وان عمي قام ببنائه ، اردت الوصول اليه ومشاهدته عن كثب .وفي10/8/ 1999 ذهبت مع عمي لهناك، وصلنا الساعة السادسة مساءاً ، وكان على الباب حارس ، فسأل عن سبب قدومنا،

وعنما اخبرناه عن السبب تحدث بجهاز اتصال مع اخرين، ثم منعنا من الدخول ، وطالبنا بالمغادرة فوراً...

في طريقي للبيت فكرت كثيراً في الموضوع.... وتوصلت للاستنتاج بان اليهود لن يقدموا لي المعلومات الصحيحة حول بناء المطار ,والذي بني قبل حرب 67...."

يمكننا الاحساس بمشاعر الاحباط والغضب ، وعدم الثقة بالآخرين التي ثارت بعد لقاء الطالبة فرحة مع الواقع الصعب والمرير. ومع هذا يمكن ان نفهم اثر هذا البحث على فرحة ، والذي مكنها من تعلم كيفية التعامل ومواجهة مواقف كهذه مع اناس مختلفين ونرى من خلال رواية فرحة بانها عمليا تركت الدفيئة البيتية والسذاجة , وانتقلت الى عالم ناضج وواقعي اكثر.....

"ما يمكننا تعلمه من هذه الرحلة هو أنه على كل انسان ان يتمسك بجذوره وان يرتبط بها مهما يواجه من صعوبات ، و بهذا الشكل فقط يمكنه ان يستمر في هذه الحياة...."

توصلت الطالبة فايزة باقوالها هذه لاستنتاجات قاطعة من خلال التعلم الحقيقي ذي المعنى والذي حصلت عليه من خلال الرحلة في أعقاب روايتها العائلية. واليوم ترفض فايزة أي حجج وادعاءات حول عدم جدوى تعرف الإنسان على جذوره وتمسكه بها، بينما هي اليوم نجحت بفعل ذلك ..... فانها تربط مفهوم الانسان... معناه ومعنى حياته بمعرفته لتاريخه الذاتي.... وهي ترمز بذلك لأهمية بلورة هوية ذاتية واضحة وقوية، وبعدها بلورة هوية جماعية للمجموعة التي تنتمي إليها، وهذا فقط يعطي معنىً لحياة الانسان ووجوده . وبأقوالها هذه فان فايزة تؤكد على أقوال بشارة (1999) حول المعنى العميق للهوية .

تحدث الكثير من الطلاب عن التعلم الجديد حول حياة "زمان" التي كانت في الماضي :

"لهذا البحث اهمية كبرى فهو يعلم الطالب معرفة جذوره وأصله، من أين أتى؟ من هم أجداده، وكيف عاشوا؟ وكيف واجهوا تلك الحياة...".

تعلم آخر تطرقت إليه سلام الذي ارتبط برؤية الواقع عبر حوادث حاسمة في الحياة:

"اللقاء المجدد مع أعمامي في الاردن، غيّر من حياتي! ارتبطت كثيراً بعائلتي وهم لن يتركوا مخيلتي إلى الأبد! هذه اللحظة غيرت مجرى حياتي ، ولحظة الفراق جعلتني أرجع لذاتي، وأفكر بهذا العالم القاسي الذي يفرق بين القلوب ويكسرها ..."

ج- تعلم ذهني

جميع الطلاب وبدون استثناء تطرقوا برواياتهم للمعرفة والتعلم الجديد من وراء البحث في روايتهم العائلية، ويمكن وضع هذا تحت إطار التعلم الذهني:

-" تعلمت عن اجدادي أموراً كثيرة لم أكن أعرفها من قبل ...."

-" اليوم أعرف أن عائلتي انقسمت لثلاث عائلات كبيرة، الأولى في حيفا والثانية في الرملة والثالثة في القدس، وان اصلنا من سوريا".

-" عرفت ما معنى اسم بلدتي .... وهو التلال الصغيرة ذات الحجارة الرملية البارزة."

-" لاحظت أثناء الحديث مع جدي التغييرات الكبيرة بين حياة اليوم وحياة زمان، وذلك في كثير من المجالات: الاجتماعية والثقافية والسياسية.."

-" سمعت قصصاً غريبة من الماضي، وهذه الأحداث والقصص جعلتني أرسم في خيالي صورة جميلة لا تمحى من الذاكرة".

تدل الجملة التي تحتها خط على التعلم الحقيقي ذي المعنى الذي حصل للطالبة، وأن كل مركباته حفرت في الذاكرة .

-"... أنا أعرف الآن وأدرك هذا التاريخ المكتوب في الكتاب...."

نلاحظ هنا كيف تحول التاريخ المدوّن في الكتاب لأمر معروف وذي معنى للطالبة، بعدما كان مجهولا وغير مألوف، وذلك بعد خوض التجربة التعلمية والمهمة بحياة الطالب لماضيه ولحاضره، وربما هذه هي الطريقة الجذرية لتعلم التاريخ. وفي هذا الصدد تؤكد سميحة في كلامها:

"تعلمت أن أكتب عن الماضي وأن أعرفه عن كثب.... فهمت وقدرت أهمية التاريخ الحقيقي الذي يحتضر ويموت في قلوب أبطاله".

تنهي سميحة روايتها بالقول: **"كتابة رحلة في تاريخ العائلة أهم وأكثر متعة من الذهاب في رحلة حول العالم...."**.

ربما أقوال فيروز، إحدى الطالبات "المدهشات" والتي كانت لها مخالطة وجدانية قوية وعميقة، تلخص التعلم والرؤية الجديدة حول مفهوم هذا البحث حول روايتها العائلية على مفهوم الذات والهوية:

"تشد الجذور صاحبها لمعرفة ذاته، ومن خلالها يغوص الفرد بداخله ليعرف كينونته في الماضي، وعندها يقترب من الكمال الذي لا علاقة له بالمكان والزمان. وبمساعدة الجذور ترتبط فجأة كل التفاصيل الصغيرة لحقيقة واحدة غامضة، وبعدها لا يمكننا العيش بدونها... الجذور هي الهوية الكاملة لذاتنا.... هل يمكننا فعلا التنازل عنها؟ الجواب هو قطعا لا، ولهذا جاء بحثي الذاتي .....

لأجل معرفة ذاتي وتوفير الميل للغريزة الطبيعية للكائن الحي: حب الاستطلاع، والحاجة للمعرفة، ولأجل حبنا الكبير للأشخاص الذين صنعوا الماضي ...."

نرى توسع مفهوم الأنا والهوية الذاتية للطالبة فيروز، ونلاحظ استعمالها للمصطلحات: هوية ومعناها للأنا وللذات، والانتماء للجماعة. وتنعكس المخالطة الوجدانية العميقة لفيروز في أسلوب كتابتها بمستوىً عالٍ، وربما أيضا هو أسلوب كتابة فلسفية عميقة ومركبة.

د- تعلم مهارات اكاديمية:

كما ذكر سابقا فقد تم تطبيق هذه المبادرة التربوية في مساق قراءة موجهة،.حيث يهدف إلى اكساب وتطوير مهارات أكاديمية للطالب مثل: قراءة أكاديمية ناقدة، كتابة أكاديمية مع إبداء الرأي والتعليق على الكتابة. كذلك تحديد موضوع للبحث والدراسة، والبحث عن مراجع ومصادر، ومعالجة هذه المصادر حتى مرحلة بناء وكتابة بحث أكاديمي.

اشتمل تحليل روايات الطلاب في هذه المقالة على المستوى الأكاديمي على مجالين:

1- فحص أقسام البحث (المقصود هو الناتج المكتوب والمطبوع لروايات الطلاب), تمييز كل قسم، وهذا يضم: صفحة الغلاف، الفهرس، المقدمة، صلب الموضوع، وفصول البحث المختلفة، نقاش واستنتاجات، توصيات، قائمة المراجع والملاحق.

في كل قسم من أقسام البحث تم فحص قوانين الاقتباس من المراجع في المتن والتي، تعلمها الطلاب في إطار المساق، وبهذا نكون قد فحصنا أيضا المسؤولية الأكاديمية للطالب.

2- نوعية الكتابة في كل أقسام البحث، والاستناد الى المصادر والرجوع إليها .

وبودي هنا التطرق الى مصطلحين : تحويل (Transformation) ودمج (Integration)، فالتحويل يعني بأي شكل استعمل الكاتب (الطالب) المرجع الأكاديمي. هل قام بنسخ النص منه حرفيا، أم أنه كتب الموضوع بشكل هادف وموجه وذلك بلغته الخاصة.

والدمج يعني بأي شكل دمج الكاتب المصادر المختلفة المتعلقة بالموضوع المعين، هل يوجد محور منطقي يربط بين هذه المراجع التي اقتبس منها في بحثه(האופטמן, 1994).

في مستوى عال من الدمج يعرض الكاتب موقفه الذي يستند على قراءة ناقدة، مقارنة مع مراجع مختلفة في نهاية البند.

حسب تقييمي لمستوى الكتابة الاكاديمية فقد طرأ تحول وتقدم واضح، وذلك حسب المعايير المختلفة، وسوف نتطرق إلى ذلك فيما بعد.

<u>* مبنى البحث الذي قدمه الطلاب</u>

1- من تحليل وفحص الروايات المكتوبة , يتضح ان جميع الطلاب التزموا بكتابة وصياغة عنوان واضح للبحث وكتبوا صفحة الغلاف حسب التعليمات التي في المساق.

2- جميع الأبحاث اشتملت على فهرس مفصل ومرقم حسب التعليمات.

3- اشتملت جميع الأبحاث على الأقسام الرئيسية للبحث: مقدمة، تقسيم البحث لفصول، فصل النقاش والاستنتاجات والتوصيات، وقائمة المراجع.

4- قائمة المراجع كتبت وفق المعايير الأكاديمية، وكل قائمة احتوت على خمسة مراجع مختلفة على الأقل.

5- استعمال الملاحظات الهامشية كان سليما ومناسبا في المواضيع التي احتاجت ذلك. أمير

*** المضمون**

1- **المقدمة:** وهو الجزء الذي نفتتح به البحث، وعليه ان يضم عرض موضوع البحث بعدة جمل لكي نوضح للقاريء ما هو موضوع البحث، وعليه أن يضم أيضا أهمية البحث، وما هو دافع الكاتب من وراء هذا البحث، وما هو المردود، وماهي القيمة الإضافية لهذا البحث. وفي النهاية على الكاتب عرض خطة البحث بشكل مختصر وهادف، ليشرح للقاريء ما ينتظره من خلال قراءة البحث. وعلى المقدمة ان تكتب بشكل واضح ومثير للقراءة.

- لقد التزم جميع الطلاب بكتابة المقدمة حسب المعايير التي ذكرت أعلاه، بالإضافة لاستخدام لغة غنية وسلسة.

فاجأني الطالب أمير في كتابة مقدمته، وفي بداية السنة كتب أمير بشكل سطحي ومنقطع، وأبدى صعوبة في قوانين الكتابة الأكاديمية.

"أبونا آدم عليه السلام كان أبوالبشرية، وهو أبونا جميعا، وكان الفرد الأول لسلسلة العائلة البشرية العظيمة التي تفرعت منها جميع شعوب العالم.

ما شدني لهذا البحث وشجعني على الكتابة هو السؤال الذي يحير كل فرد: "ما هو الرابط الذي يربطني أنا بالسلالة الاصلية، وأنا كفرع من فروع كثيرة امتدت للسلالة البشرية وملأت الكون على مدى أجيال وأجيال.....؟"

لذلك قررت الاستقصاء وراء جذور عائلتي، لكي أعرف وأتعلم عن الفقرات الناقصة من هذه السلسلة الطويلة واللامتناهية.

في هذا البحث سأعرض سيرتي الذاتية، وسأعرض شجرة عائلتي عبر خمسة أجيال، وكيف أعدت بناءها. فصل آخر من البحث سيتركز حول أجدادي في الماضي، وبعد ذلك سأعرض الشخصية المركزية في عائلتي والتي أثرت بي، وسأنهي بحثي هذا بعرض تأثيره علي وأهميته بشكل عام".

كان من الصعب اختيار مقدمة واحدة وعرضها من خلال هذه المقالة، لأن معظم الكتابات كانت جميلة وقيمة جداً.

تقول ريتا في مقدمتها:

"الأصل، الجذور، كلمات تعني الكثير..... وليس من السهل الحصول عليها والوصول إليها ... أصل الإنسان وجذوره رواية دفنها الزمن ولكي نحيي هذه الرواية علينا البحث والتدقيق عنها في كل مكان وزمان. من لا يعرف أصله فلا قيمة له ، حسب رأيي، لذلك على كل فرد وكل أمة البدء في البحث عن جذورها والعثور عليها، وتعزيز الارتباط بها ... لأن هذا واجبنا ....

ومن أعماق هذه الدوافع انطلقت في بحثي هذا ....."

ندرك عمق التفكير الارتدادي والكتابة التحليلية المتطورة، وما دفع ريتا لكتابة هذا البحث وماهيته بنظرها.

*** صلب الموضوع:**

لقد حصل الطلاب على اقتراح معين لتقسيم البحث لفصول مختلفة. وفي جميع الأبحاث كانت الفصول مرتبة ومنفصلة، مع عناوين رئيسية واخرى فرعية بشكل سليم.

يمكن للقاريء أن يبدي رأيه الذاتي حول مضمون هذه الفصول، والتي غطت فحواها هذه المقالة والمقالة السابقة (ذياب،2002) . ولعل الروايات والاقتباسات الواردة في كل مكان من هذه المقالة تثبت قيمة ومستوى هذه الكتابات.

حسب معايير تقييم البحث المكتوب، تم ايضا فحص فصل التلخيص والنقاش كجزء يتبع لمبنى البحث. كان المبنى كما يجب، وللمضمون سأتطرق لاحقاً.

***تحويل ودمج:**

فيما يلي سأتطرق لنوعية الكتابة الأكاديمية من حيث التحويل والدمج للمراجع الأكاديمية المختلفة.

"... رفض أهالي يافا اقتراح رئيس بلدية تل ابيب، ترك يافا مفتوحة وخارج العزلة، وقرروا المدافعة عن بلدهم (العراف،1971). كانت يافا محاطة بمستوطنات يهودية من ثلاثة اتجاهات، وكانت مفتوحة فقط من جهة البحر. ما ربط يافا بالعرب من حولها كان مضيقا صغيرا يؤدي الى قرية يازور، وهو أيضا كان تحت السيطرة الصهيونية (الحوت،1982).

بالإضافة لشباب يافا.... (تكمل زينة كتابتها) فقد كان ينقصهم قيادة عسكرية وقوية (العراف،1971)."....

نلاحظ هنا تحويل بمستوى متقدم. حيث لم تنقل الطالبة زينة حرفيا عن المرجع ولكنها لخصت المضمون بكلماتها الخاصة. ونلاحظ أيضا الاستعانة بمرجعين مختلفين، وذلك لأتمام الصورة التي تتحدث عنها زينة. طريقة توثيق المراجع بالمتن صحيحة، ولكن لا نشاهد مرونة من خلال عرض مؤلف المراجع، واستعماله بشكل فعال اكثر في النص، كما سنلاحظ فيما بعد في نصوص اخرى.

وهيبة أبرزت قدرة أعلى من كتابة زينة:

"... سمير عبد الرزاق قطب، مؤلف كتاب (لسان العرب) يذكر عائلة الدراوشة ويقول بأنها أحد أسباط قبيلة حويطات بن جازع... وهذا يوافق ما وجدته في سلالة العائلة ....، أيضا حويطين صالح يشيد بالحويطات كأصل سلالة العائلة (خليل،1991)".

نرى هنا دمجاً بين المراجع عبر تدخل فعال، فيه مقارنة بين مراجع مختلفة بشكل ملائم.

"... وكما ذكر مصطفى الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين) أن أصل تسمية بيت صفافا هو "هنمة" ومعناها بالسريانية البستان الجميل.

ولكن عراف يقول في كتابه (القرية العربية ص198) أن أصل تسمية بيت صفافا جاء من الكلمة "صفيفة" ومعناها العطش. وهذا التفسير أراه مناسبا أكثر، لأن لا عيون ماء داخل بيت صفافا، والعين الاقرب للقرية هي في عين يالو والتي تبعد عنها خمسة كيلو مترات..."

نرى هنا تحويلا ودمجا بمستوى جيد، تقارن فيهما الطالبة بين مراجع مختلفة وتتدخل وتبدي رأيها تجاه هذه المعلومات.

"استمتعت كثيراً لسماع روايات جدي. وهذه المرة أيضا قررت العودة للمراجع وتعقب التاريخ حول هذه الرواية. وفعلاً وجدت تطابقاً كاملاً بين أقوال جدي حول انتصارهم على اليهود في الناصرة، وحسب مصدر عبد الرحمن (1990) ظهر أنه..."

نشاهد هنا أيضا كتابة أكاديمية كما ذكرت أعلاه، وتبرز أيضا المسؤولية الأكاديمية لدى الطالبة للفحص والمقارنة حول المعلومات التي حصلت عليها من جدها.

"رغبت بمعرفة المزيد حول مطار قلنديا.... ذهبت لمكتبة البلدية في رام الله والتي احتوت على العديد من المراجع والموسوعات الفلسطينية. وحسب جزء من المراجع وجدت بأنه (الدباغ، 82،1998). لم اكتف بهذا .... بحثت ووجدت بأنه .... (الموسوعة الفلسطينية ص 111)..... والآن وبعد أن قرأت عن الأحداث من كتاب عبد الرحمن وآخرين (1990) وأيضا من كتاب حمودة (1986).حاولت الربط بينهم...."

تظهر هنا قدرة الطالبة فرحة على الكتابة والتحويل والمقارنة، من أجل خلق صورة كاملة حول الأحداث المعينة.

تطرقت الطالبة أفنان الى طريقة معالجتها للمقابلات التي أجرتها في بحثها، وفيها تعقب الطالبة على الموضوعية في الكتابة بالرغم من المخالطة الذاتية:

"تخلل الفصل الثاني من بحثي مقابلات شخصية موسعة مع أفراد عائلتي البالغين في السن. في هذا القسم أجريت دمجاً ومطابقة بين المرجعين حول الحقائق التي توصلت اليها. كما وأني حاولت المحافظة والتمسك بالحقائق الموضوعية بالرغم من الصعوبة في ذلك، بأن أبتعد عن موقفي الشخصي أثناء كتابة وتدوين حقائق جمعتها من أفراد عائلتي..."

يمكن تلخيص المهارات الأكاديمية المختلفة التي تعلمها الطلاب من خلال بحث الرواية الذاتية والعائلية لهم وذلك حسب اقوالهم:

- " تعلمت قراءة وتلخيص مقالات مثيرة. والدمج بينها، كما وتعلمت طريقة التوثيق الأكاديمي".

- " ..... تعلمت أن أطالع في كتب التاريخ والموسوعات المختلفة".

- " لم اكتف بالمعلومات من هذه الكتب، بل بحثت عن المزيد..."

- " تعلمت كيفية استعمال مكتبة الكلية ومكتبات أخرى اضافية، وتعلمت كيف أبحث عن الكتب....."

- " عزز هذا البحث من قدرتي على كتابة وظائف وأبحاث، ولو بشكل أولي وبسيط، وذلك كتجربة أولى لي في إجراء وكتابة بحث. أشعر بأنني أجريت بحثا مهمـا وذا قيمة....."

فصل التلخيص والنقاش:

تضمن هذا الفصل تلخيصاً لأهم النقاط التي وردت في البحث الذاتي للطالب، وكانت جميع الكتابات جيدة. وكذلك تناول الطلاب بشكل مثير النقاش باهمية هذا البحث، وفي المواقف والتجارب الوجدانية التي مروا بها، وأظهروا قدرة عالية من التفكير الارتدادي بمستوى ذهني وانفعالي. و يمكن للقاريء ملاحظة ذلك لوحده من خلال الأقوال والأحاديث المختلفة التي جاءت في هذه المقالة، والتي ورد قسم كبير منها في فصل التلخيص والنقاش لابحاث الطلاب.

اخترت عرض توصيات الطلاب المثيرة في أعقاب بحثهم الذاتي، كما كتبوها في فصل التلخيص والنقاش فيما يلي :

توصيات الطلاب بأعقاب الرواية الذاتية والعائلية

ذيّل معظم الطلاب أبحاثهم المكتوبة بقائمة توصيات موجهة لجهات مختلفة تمثل: معلمين، أهالي، ومربين... وتراوحت شدة هذه التوصيات بين اقتراحات وطلبات بدرجات مختلفة. تقول سمية في توصياتها:

" اقترح على كل معلم وكل طالب عربي أن يقوم ببحث كهذا..."

استعمل جزء كبير من الطلاب كلمة **"أوصي"** من أصل **"وصية"** . وهذا يدل على طلب عليه أن يتحقق، لأنه ممنوع رفض هذه الوصية وذلك حسب أصول الدين والقانون.

وفيما يلي بعض هذه التوصيات:

- **توصية لطلاب آخرين في سنة أولى في إطار تأهيل المعلمين، بأن يتذوقوا متعة هذه التجربة، لإجراء بحث حول الرواية العائلية والذاتية.**
- نصيحة للجميع، ودعوة مفتوحة غير ملزمة بأن يبدؤوا البحث عن الرواية وجمعها... كما ابدعت ليلى بقولها:

"نصيحتي كما قال أبو الأمين (توفيق زياد): إرموا حجارتكم في هذا الدلو ... لنحافظ عليها من الضياع..."

نلاحظ هنا دعوة للجميع أن يبدؤوا بجمع أشلاء الرواية العائلية وتدوين القصص قبل أن تضيع وتنقرض....

- توصية لكل فرد أن" **يقوم بإجراء بحث كهذا لكي نحافظ على "كنوزنا" من الضياع، ولكي لا تختفي أية حقيقة ولا أي حق لأي أمة وشعب."**

- توصية **"بأن يقوم كل فرد ببحث كهذا. الصغار يقومون ببحث أولي حول معرفة أسماء ومواقع مهمة. بينما البالغون في السن يجرون بحثا بشكل شامل وعميق. وبعدها يتم اصدار كتب حول العائلات العربية المختلفة، وبهذا نشكل مصدراً ومرجعاً تاريخياً وسياسياً ذا أهمية شديدة. وهذا بدوره يوطد ويزيد من التعارف بين هذه العائلات.**

ويمكن أن نستعين بذلك إذا نشبت حرب، وذلك حسب توصية نادية:

– **"أطلب من جميع المعلمين العرب المبادرة للبدء بمرافقة تلاميذهم في المدارس لإجراء بحث كهذا، ولا ينتظروا لجيل متقدم في الجامعة والكلية مثلاً."**

هذا الطلب نادت به سيرين لأنها تؤمن بأن أبحاثا كهذه تثير وتحفز الدافعية للتعلم لدى التلاميذ في قضايا مختلفة تتعلق بانتمائهم وتمسكهم بأصلهم وبجذورهم في سن مبكرة:

– **"أتوجه للمربين في الثانوية بأن يرافقوا طلابهم لإجراء بحث كهذا من أجل معرفة التاريخ بشكل أفضل، لأن التاريخ يُعلّم بشكل جاف وضحل جداً."**

– نداء (بلهجة وصية)" **على كل فرد لديه رواية أو جزء منها ولم يدونها بعد ان يسارع في ذلك قبل ان يفارق هذه الحياة وتموت معه الروايات..."** (حسب أقوال تمارا).

يمكن ملاحظة القدرة المثيرة لدى الطلاب حول معالجة البحث، ونرى المسؤولية المهنية لديهم كمعلمي المستقبل، بأن يتم تعميم هذه التجربة وتمريرها للآخرين وللأجيال القادمة.

وتبرز هنا بلورة هوية مهنية قوية لدى الطلاب بعد إجراء بحث ذاتي بأعقاب جذور عائلتهم، ومن المهم ذكره بأن إدراك كهذا حول المسؤولية المهنية لم يظهر لدى الطلاب قبل إجراء هذا البحث .

إن هذه التوصيات والاستنتاجات تؤكد على التعلم الجدي والحقيقي، وترسيخ الأمور بشكل مميز لدى الطلاب.

الصعوبات التي واجهت الطلاب أثناء هذا البحث:

عندما بدأت بتحليل وعرض نتائج هذه المقالة والمقالة السابقة (ذياب،2002) تحيرت وترددت كثيرا كيف أبدأ هذا الفصل؟ هل أبدأ بعرض صعوبات طلابي في إجراء هذا البحث أم أنهيه بها؟

وكما يتضح للقاريء فإني فضلت الخيار الثاني، وجاء هذا القرار معززاً لموقفي تجاه مرافقة طلابي في مساق قراءة موجهة، بأن كل تعلم حقيقي يكون مصحوباً بمعاناة (حسب روجرز الوارد لدى גלבוע ،1992)، وكلنا نكبر وننمو ونتطور ونتعلم من خلال أزمات ومواجهة مناسبة مع صعوباتنا.

بالرغم من الصعوبات الجمة التي سأذكرها فيما يلي، لم يحبط طلابي ولم يتراجعوا، بل بالعكس فإن هذه الصعوبات زادت من تحدياتهم وإصرارهم على تكملة المشوار....

- " ليس من السهل إجراء بحث كهذا، فهذه العملية تتطلب بحثاً واسعاً وفتح "الدفاتر القديمة" للعائلة جميعها ..."

- "وجدت صعوبة كبيرة في هذا البحث، لأنني لم أجد أشخاصاً بإمكانهم مساعدتي، فمعظم أقاربي البالغين في السن فارقوا الحياة ....."

- " صعوبتي تكمن في السفر المستمر لنابلس (مثلا) للبحث عن أقارب العائلة..... وللأسف لم أعثر على أحد منهم ....."

- " صعوبة إضافية واجهتها بسبب معرفتي بأن أحد جذور عائلتي مرتبط بإحدى العائلات التي انفصلت عن العائلة في الثلاثينيات، وذلك بعد نزاعات عديدة..... وقد خفت من الذهاب إلى بيتهم لجمع معلومات .... ولذلك تنازلت عن هذا القسم من البحث.....

- " وجدت الكثير من الصعوبات في إيجاد جذوري من الجيل الرابع...."

- " لم يكن من السهل عليّ العثور على كل هذه المعلومات ومعالجتها وتلخيصها بشكل مناسب".

- " لم يكن من السهل علي طرح أسئلة تثير مشاعر صعبة وحزينة...."

- " شعرت بالعجز في أوقاتٍ كثيرة، ورغبت في التوقف عن البحث..... فالشعور بأنك تحت رحمة الآخرين ليزودوك بالمعلومات، وأنك رهينة لهم يشعرك بالعجز ".

- "من الصعب إقناع أفراد بالغين في السن أن يفتحوا لك قلوبهم ويثقوا بك .... ليرووا المزيد .... رفضت جدتي الإجابة عن معظم أسئلتي وقالت: لماذا تسألونني؟ أتريدون أن يعتقلوني"؟ إذهبي يا بنيتي! لماذا جئت؟ ماذا تريدين مني..؟

- "كان من الصعب علي الحصول على معلومات، وموافقة لتصوير أماكن وبيوت تاريخية ات صبغة سياسية مثل...."

- " واجهت صعوبة في إجراء مقابلة مع شخص ما، وملاءمة الأسئلة لطبعه ...."

- " لم يكن من السهل مقابلة شيوخ هرمين جداً لهم أفكار "متخلفة" وكثيري النسيان... وعندما يبدؤون بالحديث لا يمكنهم التوقف وينتقلون من موضوع لآخر بدون أي إشعار....."

- "... بعدما قابلت جدتي.... وحدثتني عن الكثير من القصص، لم أدر ماذا أفعل بكل هذه المواد؟ كيف سأنظم ذلك؟ وماذا علي أن أبحث بعد؟ كنت "مبلبلة" وكم مرة فكرت أن أتنازل عن هذا البحث وألجأ لموضوع آخر....!"

- " ..... أية مراجع علي أن أختار للخلفية التاريخية! وأين سأجد هذه المراجع في القدس؟ ألا يكفي بأنني لا استطيع التقدم في هذا البحث بدون السفرإلى لناصرة ومقابلة جدتي.....؟

- " الصعوبات التي واجهتها كانت على الصعيد الانفعالي..... لأن هذا أمر مؤلم وحزين....

هذه القائمة الطويلة من الصعوبات تدل أيضا على التفكير الارتدادي المتطور لدى طلابي على مسار البحث، والذي يضم تحديد ووصف وصياغة هذه الصعوبات.

ولعل هذه القائمة من الصعوبات تعكس أيضا الصعوبات التي واجهتها أنا أثناء إرشـــاد وتوجيه طلابي في بحثهم هذا. لقد تطلب مني إرشادهم علـــى الـــصعيد الأكـــاديمي، ومرافقتهم وتهدئتهم وتشجيعهم لكي يواصلوا المشوار ولا يتراجعوا.

تلخيص

عرضت المقالة مبادرة تربوية بهدف إعطاء فرصة تعليمية حقيقية خاصة، تمكّن كل طالب من التعرف على ذاته عن كثب من خلال البحث وراء جذور عائلته من جهة , ومن جهة أخرى، تطوير *مهارات أكاديمية*.حيث قام كل طالب من فئة البحث ببناء شجرة العائلة لخمسة أجيال متتالية، ودراسة أحداث عائلية مهمة في تاريخ عائلته وتاريخ بلده وشعبه، من خلال اكتساب واستعمال أدوات تعلمية أكاديمية، من خلال البحث والتدريب وكتابة رحلته في أعقاب جذوره .

يمكن اقتراح هذه المبادرة كطريقة بديلة لتأهيل معلمين عرب في البلاد، حيث تستمد هذه التجربة جذورها من:

1- التربية الناقدة لباولو فريرة (1981) التي تؤمن وتؤكد على أهمية تطوير تفكير ووعي اجتماعي وسياسي ناقد، وذلك من أجل تطوير معلم ومربٍ عربي يحمل بداخله رسالة وكيل تغيير اجتماعي، لتغيير واقع جهاز التربيـــة العربـــي فـــي البلاد.

2- التعلم الحقيقي المرتبط بكينونة وهوية الانسان (روجرز, 1973)، وهو فرصة تعلمية فيها مخالطة وجدانية وشعورية عالية، لذلك فإن دافعية الطالـــب فيهـــا تكون عالية جدا، بما يضمن تعلمه الدائم وتذويته وترسيخه لفترة طويلة.

في هذا البحث الذي يتناول تأثير بحث الرواية العائلية والذاتية حدث تعلم حقيقي فيه مخالطة وجدانية مثيرة . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التأمل بروايات الطلاب المختلفة في مجالات تطور قدرة التفكير الارتدادي، تطوير قدرة التعاطف مع الم وروايات افراد العائلة، وهي مجالات للتعلم في المجال الانفعالي الذي حدث باعقاب هذه التجربة التعلمية.

أكد نيسان (ניסן, 2002) أن الدافع الحقيقي والأهم لإثارة التعلم هو عندما تشرح للمتعلم ما هو هدف التعلم، وربطه بمفهوم الأنسب للطالب ، لحياته ولكينونته. إن مفهوم الأنسب للطالب يرتبط ارتباطاً عميقاً بالهوية الذاتية للمتعلم.

وفي هذا الصدد نرى أن المبادرة التربوية المعروضة في هذا المقال هي أحد الأمثلة القوية لأحداث دافعية كبيرة للتعلم لدى الطلاب، من أجل فهم ذاتهم وتحقيق كينونتهم، حيث كان له أثر كبير في تعلم جديد وعميق، واكتساب مهارات ذاتية نفسية وأكاديمية مختلفة .

ويمكن تلخيص أهم الحقائق التي تنبع من هذا البحث فيما يلي :

- كل طالب قادر ويريد أن يدرس ،وعلى المعلم أن يعرف كيف يصل إليه ويلفت نظره ويحرك فضوله، وعلى المعلم أن يؤمن بتعليم واقعي ذي مغزى يلائم الطالب. وهذا يؤدي إلى اكساب الطالب فن تدريب القراءة والكتابة كبحث وحقائق أكاديمية، وذلك من تجربة دراسته الشخصية (التفتيش وراء الجذور) .
- أن هذه التجارب التي تمس قلب الطالب وقلب عائلته و أصحابه, تسهل عليه فهم وترسيخ مصطلحات لها علاقة بالناحية النفسية أوالحسية أو العاطفية. وذلك بسبب تصعب الطلاب من التوضيح الداخلي حول المواضيع التعليمية المختلفة. بدلا من " أنا أفكر (أعتقد)", بحيث أنه إذا كان الموضوع أكثر واقعية وقرباً لقلوب الطلاب، فإنه يسهل عليهم توضيح صعوباتهم، وإظهار أحاسيسهم وانفعالاتهم.
- يمكن لهذه التجربة أن تعتبر التمرين الأول في طريق عمل المعلم كباحث مبتديء.
- تقوي هذه التجربة شخصية الطالب العربي وتزيد من ثقته بنفسه، وهذا يغطي على مجالات أخرى، كما أنها تقوي صلته الاجتماعية في المجتمع والوطن، وهذا يؤثر عليه كفرد فعال في مجتمع له جذور قوية، و يشجعه أن يتابع المسيرة، وكذلك ليعطي كل ما لديه، ويكون عنصراً فعالاً في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه .
- يمكن للطالب أن يحوّل التعلم من هذه التجربة لمجالات أخرى (مثل فن تدريب القراءة والكتابة الأكاديمية التي اكتسبها في هذه المبادرة، بحيث يمكنه استعمالها في أي وقت يشاء، كطالب يريد أن يتعلم أكثر، أو كمعلم يريد أن يعلم طلاباً في المستقبل.

قائمة المراجع:

ذياب، خنساء .(2002). "ذكرى وتاريخ. بحث ذاتي في اعقاب الرواية المفقودة" **الكرمة** 3 ،ص 26-7.

قطامي، يوسف .(1998). **سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي. عمان: دار الشروق**

Corrtazi, m (1993). **Narrative Analysis.** London: Falwer Press.

בר-אל, ציפי.(1996). **פסיכולוגיה חינוכית**. אבן יהודה: כרס.

בשארה, עזמי.(1999). **בין האני לאנחנו: הבניית זהויות וזהות ישראלית. י-ם: מכון ון ליר.**

גלבוע, אליעזר.(1992). **אישיות יוצרת**. ת"א: איתיאב.

דיאב, חנסאא.(2002). " הנרטיב החסר : חיפוש עצמי" .**במכללה,13**,עמ' 172- 147

האופטמן, שרה.(1995). **ממאמר למאמר**. ת"א: יסוד.

זילברשטיין , משה . (1998) . " הוראה רפלקטיבית – הבהרה קונצפטואלית לתוכניות הכשרה והשתלמות מורים" מתוך: **רפלקציה בהוראה** , ת"א: מכון מופ"ת, עמ' 42- 15.

זילברשטין . מ .(1998). " ספרות מקרים בתוכנית הכשרה והשתלמות: "למה וכיצד" עיונים בחינוך. 2,3 – עמ' 7-24.

זמרן, א. , הכהן , ר .(1999). **מחקר פעולה מורים חוקרים את עבודתם.** מכון מופת , משרד החינוך והתרבות.

כהן,אניטה.(1995) **.שיטות הוראה מפעילות.** קרית ביאלק: אדם.

ניסן, מרדכי.(2001). **"הכרה בערך הלימודים כבסיס הנעה בבית הספר"** ,בתוך: חינוך החשיבה,הנעה ללמידה תפיסות חדשות של מוטיבציה. עלון מס' 20 , מכון ברנקו. וייס לטיפוח החשיבה ומשרד החינוך.עמ' 143-119 .

רוגרז, קרל.(1973). **חופש ללמוד.** ת"א: פועלים.

שקדי,אשר.(2003).**מילים המנסות לגעת , מחקר איכותני- תיאוריה ויישום.** ת"א: רמות.